# من حديث بوركهارت
# عن الخيل العربية قبل ١٧٠ سنة

ترجمه وقدم له

د/ عبدالله الصالح العثيمين

اهداءات ١٩٩٤
المملكـة العربيـــة
الســعـــوديـة





# من حديث بوركهارت
# عن الخيل العربية
# قبل ١٧٠ سنة

ترجمه وقدم له

د . عبد الله الصالح العثيمين

# تصـديــــر

ظل صهيل الخيل العربية يدوي في سمع الدنيا ، منذ وعي التاريخ ترانيم العربي الشعرية ، في الصحراء العربية حتى اليوم .

ما من شعر يشدو بالحب ، أو الحرب وبالصيد أو الطرد ، الا أعطى منه الشاعر للخيل نصيبا ، وخلع عليها صفات الفضيلة والكمال .

حفظ العربي انساب خيله كما حفظ انساب قومه

وسمى عائلاتها وفصائلها

بل وسمى أفرادها بأسماء خاصة بها .

ولئن وصف الشاعر العربي الجاهلي ناقته في رحلاته وتجواله وملأ قصائده بها فانه ترك لحصانه حيزا كبيرا ووصفه وترجم عن لسان حاله ، وتغنى بألوانه ورأى يمن الطالع في غرته وتحجيله .

ولما بزغ نور الاسلام أقسم القرآن الكريم بخيل المجاهدين في سبيل الله فقال تعالى : « والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا * فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا * فوسطن به جمعا » العاديات ١ ــ ٥ ــ وذلك اظهارا لشرف تلك الخيل وفضلها عند الله وذكر القرآن الكريم عن « الصافنات الجياد » ص ٣١
وعن « الخيل المسوّمة » آل عمران ١٤ .

التي هي زينة وثروة للحياة ، وتحدث عن « رباط الخيل » الانفال ٦٠ التي هي من أركان الاعداد والقوة . ولاغرو ان كانت الخيالة الاسلامية من خيرة عناصر الجيش الاسلامي الذي حمل الدعوة والخير والعقيدة الصحيحة إلى العالم كله حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة »

ولما استبحرت الحضارة في عالم الاسلام وتفجرت حركة التأليف عند العرب في اللغة والعلم والأدب ، أفردت الخيل بكتب كثيرة حفظت أسماءها ونسلها وتربيتها وتضميرها وفروسيتها ، حتى اجتمع من ذلك تراث عظيم في الأدب والفروسية ، وقد سبق للمهرجان الوطني الثالث أن نشر كتاب علم الفروسية وسياسة الخيل تأليف بكتوت الرماح الخاندار الظاهري .

وان المهرجان الوطني الرابع للتراث والثقافة إذ ينشر هذه الكتب عن الخيل فانما يفعل ذلك استمرارا لاهتمامه بهذا التراث الفروسي الأصيل .

ولئن دالت اليوم دولة الخيل في دورها العسكري بعد أن أخذت الخيالة الآلية والجوية مكان الحصان الجواد ، فقد بقي الحصان العربي الأصيل رمزا لتراث جميل ليس على المستوى الوطني والعربي فحسب بل وعلى المستوى العالمي . فهو اليوم سرور ملايين العيون في حلبات العالم في السباقات والمعارض والمناسبات الوطنية ، وهو اليوم أساس كل النسل الأصيل في العالم .

ولعل من حسن الموافقات أن صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني هو الذي رعى تراث الفروسية وجدد الاهتمام به وعمقه حتى صار هواية محببة للشباب عندما فتح نادي الفروسية وهو الذي طور المهرجان الوطني للتراث والثقافة ودعا إليه ليزيد في تجذير الأصالة .

بل ان من حسن الموافقات أن يكون مهرجان هذا العام حافلا بعروض الفروسية وألعاب الخيالة التي يقيمها فرسان الحرس الوطني فيأتي هذا المهرجان لتتعانق فيه اشعات الثقافة مع ضبح الخيل ووقع حوافرها وشرر سنابكها وليتناغم صهيل الخيل الأصيلة بصهيل التراث والثقافة .

وهذا الكتاب اللطيف في حجمه مفيد في مضمونه وفحواه وهو ترجمة لفصل من كتاب : ملاحظات عن البدو والوهابيين
تأليف جوهان لودفيج بوركهارت وهو رحالة سويسري زار الجزيرة العربية زمن الدولة السعودية الأولى .

ولا يسعني في هذا التصدير الا أن أوجه شكر المهرجان الوطني الرابع للتراث والثقافة إلى الأستاذ الدكتور / عبد الله بن صالح العثيمين على ما بذل فيه من جهد علمي واضح في ترجمة هذا الكتاب وعلى اسهامه بهذه المناسبة الوطنية المهمة .

وكلي أمل أن يجد القارىء الكريم هذا الكتاب ماتعا نافعا . والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وكيل الحرس الوطني
للشئون الثقافية والتعليمية
ورئيس اللجنة العامة للمهرجان

د / عبد الرحمن بن سبيت السبيت

## مقدمـــــــة

لا أدلّ على أهمية الخيل ومكانتها عند العرب قبل ظهور الإسلام وبعده من أن الله سبحانه أقسم بها ، وحث المسلمين على التقوّي بها ضد أعدائهم ، كما أن الرسول،صلى الله عليه وسلم ، مدحها في أحاديث عدة . وتعكس المؤلفات العظيمة ، التي يحفل بها التراث الإسلامي عن الخيل وما يتعلق بها ، الأهمية والمكانة المذكورتين . ولقد ظلت الخيل محلّ افتخار العرب،خاصة في جزيرتهم ، وموطن احترامهم ، ومصدر عشقهم . وظل إكرامهم لها واحتفاؤهم بها من الأمور التي لا تخفى على من قرأ أخبارهم أو عرف أحوالهم . ولو دوّن أغلب الشعر الذي عبّر به شعراء الجزيرة العربية بلغة محلية في العصور المتأخرة وحدها عن مشاعرهم تجاه الخيل ووصفهم لها لامتلأت به أسفار ومجلدات كثيرة . وإذا كانت القصائد الجميلة التي قيلت عن الخيل يصعب حصرها فإن قصيدة زقم العيط[1] ــ أو المحاورة الشعرية التي جعلها بينه وبين فرسه التي أصيبت بالعمى ــ مثل من الأمثلة التي يمكن أن يشار إليها عند الحديث عن مشاعر العربي تجاه فرسه . فبعد أن أورد شكواها من العمى وتذكيرها له بأفعالها الحميدة قال :

ياسابقي فضلك فلانيب ناسيه      وجميلك اللّي فات مانيب كاميه
لو العمى يذكر طبيب يداويه      لو هو بعيد ولا تطوله شبوحي[2]

ثم قال :

لو الدوا يشرى لعينك شريناه      لو كان في غالي الثامين سقناه
مير ان لك عين نظيره دفق ماه      ولا ينفع العطشان كثر السبوح[3]

وبعد أن أشار إلى اعترافها بالجهود التي بذلها لمحاولة علاجها قال متوجداً على أفعالها السابقة وما كان يحققه من نجاح بسببها :

(١) زقم العيط فارس مشهور من فرسان شمّر .

(٢) فلانيب ناسيه : صحتها لغوياً وكتابياً : فلا أنا بناسيه . لكن العامة ، أحيانا ، تجعل « أنا » لي ؛ مدغمة همزة الضمير بحرف النفي ، وقالبة ألف الضمير ياء ، وتربط حرف الجر ( الباء ) بالضمير لا بما بعده كما يجب بعدها. نيب كاميه : ما أنا بمخفيه . لا تطوله شبوحي : لا يدركه بصري ، ولا تصل إليه قواي .

(٣) الثامين : الأثمان . عين نظيره دفق ماه : عين فقدت القدرة على الإبصار . السبوح : السباحة .

الله على الشقرا إلى صاح صياح وتعلوطوا جرد السبايا بالارمـاح
كم واحد منّي على صابره طاح عليه بيضه طول ليله تنـوح[٤]

الله على الشقرا إلى جَن مع الريع نصف مجاويخ ونصف مداريـع

أردّهـن لعيـون بيض مفاريـع والى السما يفك روحك وروحي[٥]

الله على الشقرا الصهاة الصنيعة إلى حلّ بين اللابتين القطيعـة

جل عنك لي نفس عليها فجيعة ووراعى التمّني مثل زرع السطوح[٦]

ولقد بدأ اهتمام الاوربيين بالرحلات إلى جزيرة العرب لاستطلاع أحوالها منذ حوالى خمسة قرون . وكانت الدوافع لتلك الرحلات مختلفة . ومن هنا كانت كتابات الرحالة ، أيضا ، مختلفة من حيث الحياد والتحيز ، ومن حيث الدقة وعدمها . وكان الرحالة السويسري الأصل ، جوهان لودفيج بوركهارت ، من أكثر الرحالة الأوربيين اتصافاً بالدقة والإنصاف . وقد زار جزيرة العرب إبّان حروب محمد علي ـــ والي مصر العثمانية حينذاك ـــ مع قادة الدولة السعودية الأولى . وكان ما أورده عن هذه الدولة في كتابه : ملاحظات عن البدو

(٤) إلى صاح صيّاح : نادى المنادي للنهوض إلى الحرب لردّ ما أخذه الخصوم بصفة خاصة . تعلوطوا :ركبوا بخفة وسرعة . جرد السبايا : الخيل ، الأرماح : الرماح ، صابره : خدّه . بيضه : نساؤه . ليله : ليلها ، لكن سكان شمالي نجد وشمالي جزيرة العرب بشكل عام يجعلون هاء الغائبة مثل هاء الغائب ، ويفرقون بينهما بضم ما قبل المذكر وفتح ما قبل المؤنث .

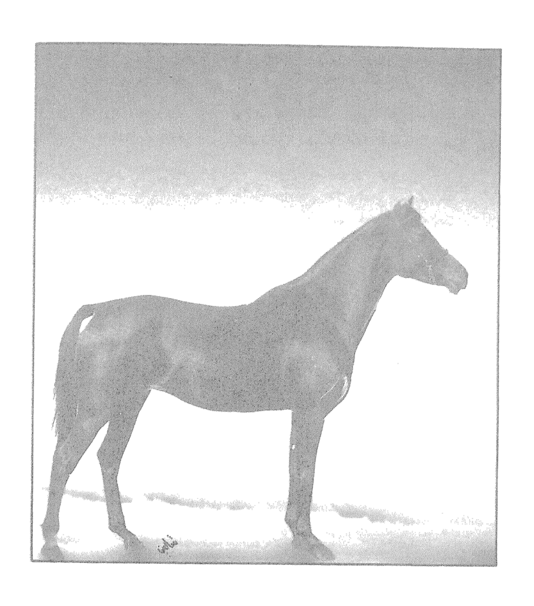
(٥) إلى جَنْ مع الريع : إذا جاءت الخيل من بين جبلين ، وعلى ظهورها الفرسان : نصف مجاويخ ونصف مداريع : نصفهم يرتدون ثياب الجوخ ـــ وهي من الملابس التي يرتديها الفرسان افتخارا ـــ ونصفهم يرتدون الدروع . أردّهن لعيون بيض مفاريع : أصدها من أجل عيون نساء كريمات أزلن حجابهن حثاً للفرسان ليستبسلوا في القتال . وقيام النساء بذلك من عادات القبائل العربية التي تفعل في الحروب . والي السما : الله سبحانه . يفك : ينجي .

(٦) الصهاة الصنيعة : الفرس التي بدت عليها آثار الصحة بامتلاء قطاتها شحماً . إلى حلّ بين اللابتين القطيعة : إذا حان بين الفريقين المتقاتلين القتال العنيف .

والوهابيين من أجود الكتابات التي كتبها الأوربيون عنها[٧] . ولقد سمّى أتباعها بالوهابيين مجاراة للتسمية التي أطلقها عليهم خصومهم ، فشاعت في أوربا . لكنه تحدث عنهم بإنصاف ، وأثنى عليهم بما يستحقون من ثناء . وفي خلال تدوينه لملاحظاته في كتابه هذا تحدث عن الخيل في بادية سوريا وفي جزيرة العرب وما حولها . وقد رأيت في بعض حديثه عنها ما هو جدير بأن يوضع أمام القارىء العربي الذي يهمه الاطلاع على ما له صلة بالخيل في هذه المناطق العربية وفي تلك الفترة من التاريخ . وقد يكون فيما ذكره عنها من أوصاف وتسميات ما لا يتفق مع ما هو متعارف عليه لدى بعض الذين يحتج بمعرفتهم لتلك الأوصاف والتسميات . لكن تغيّر الزمان والمكان من العوامل المهمة عند النظر إلى ذلك .
والله وليّ التوفيق .

عبد الله الصالح العثيمين
١٤٠٨/٥/١٥ هـ

(٧) هنالك معلومات مفصلة عن هذا الرحالة في مقدمة ترجمتي لكتابه مواد لتاريخ الوهابيين ، الذي هو جزء من كتابه المذكور هنا ، وهي الترجمة التي نشرت في الرياض عام ١٤٠٥ هـ . على أن ما ترجم في هذا الكتاب من حديثه عن الخيل ليس مما ورد في مواد لتاريخ الوهابيين .



## الخيل في بادية سوريـــا :(١)

توجد في سوريا ثلاث سلالات من الخيل : العربية الأصيلة ، والتركمانية ، والكردية التي هي خليط من السلالتين الأوليين . فالخيل العربية ، في الغالب ، صغيرة الحجم يندر أن يزيد طولها على أربعة عشر شبرا . لكن يندر ، أيضا ، أن يوجد بينها ما هو سيء الشكل . بل إن لها جميعاً صفات جمالية خاصة تميّزها عن أية سلالة أخرى . ويعدّ البدو خمس سلالات أصيلة من الخيل تنحدر ــ كما يقولون ــ من أفراس النبي صلى الله عليه وسلم المفضّلة . وهي طويسة ، ومعنكيه ، والكحيلا ، والصقلاوية ، والجلفة(٨) .

تتفرع هذه السلالات الخمس إلى شعب كثيرة . فكل فرس جميلة سريعة العدو منحدرة من أية سلالة من تلك السلالات الخمس يمكن أن تصبح أصلاً لفرع جديد يسمّى أفراده باسمها . ولهذا فإن أسماء السلالات العربية المختلفة في البادية لا تحصى .

وقد جرت العادة أن يجتمع عدد من الشهود عند ولادة كل مهر أصيل ، فتكتب حجة ، أو شهادة ، توضع فيها صفاته المميزة ، واسما أبيه وأمه . ولا يذكر في هذه الحجة النَسَبيّة ، عادة ، أسماء جديه وما قبلهما . ذلك أن كل فرد من أبناء القبيلة يعرف،حسب التقاليد ، أصالة النسل كله . وليس من الضروري دائماً أن توجد هذه الشهادة النَسَبيّة مكتوبة . فكثير من الخيل ذكوراً وإناثا تنتمي إلى ذلك الأصل الشهير بحيث يمكن أن تثبت نقاوة دماء آلاف منها . وغالباً ما كتبت شجرة النسب في قطعة صغيرة من الجلد ، وغُطيت بقماش مشمّع ، وعلقت برقبة الحصان أو الفرس . ويمكن أن يؤخذ ما يلي مثالاً للشهادة على الخيل عند العرب :

الله شهيــــــد

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأتباعه إلى يوم الدين . ثم السلام على من قرأ هذه الكتابة وفهم معناها . هذه الشهادة خاصة بالمهر الأزرق المحجل الأغر من نسل الصقلاوي الأصيل المسمّى عبيّان ، الذي يشبه جلده الحليب صفاء ونقاء ، الذي يشبه تلك الخيل التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم،« الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة »

وقال الله تعالى عنها في محكم كتابه ــ وقوله الحق ــ ﴿وَالْعادِيَاتِ ضَبْحاً فَالْمُغِيْرَاتِ صُبْحاً فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً . فَوَسَطْنَ بَهَ جَمْعاً﴾ وقد اشترى هذا المهر الأزرق الصقلاوي

(٨) السلالات الخمس عند أهل نجد حديثاً هي الكحيلاء ، والعبيّة ، والصقلاوية ، والدهماء ، والهدباء .

(١) يقع هذا الجزء من ص ٢٠٨ حتى ص ٢١٧ في المجلد الأول من كتاب ملاحظات :
Notice on the Beduins and the Wahabvs

خشرون بن محيت من السبعة من عنزة . وأبو هذا المهر هو الحصان الأدهم الممتاز المسمّى مرجان من نسل كحيلان . وأمه الفرس الصقلاوية الشهباء المشهورة المسّماة جَرْوَىَ . ونحن شيوخ المعرفة وأصحاب الخيل سعداء بأن نشهد هنا أن هذا المهر الأزرق المذكور أعلاه أكثر أصالة حتى من أبيه وأمه ، ونشهد حسب معرفتنا الجيدة على صحة هذه الوثيقة . والحمد لله رب العالمين .

حرّر في السادس عشر من صفر سنة ١٢٢٣ هـ .

الشهود ...،،

وما ورد أعلاه ترجمة دقيقة من الوثيقة الأصلية المكتوبة بخط اليد عند البدو . وتوافق السنة الهجرية التي كتبت فيها سنة ١٨٠٨ للميلاد .

ويقتني البدو كلهم تقريباً إناث خيلهم في حين يبيعون ذكورها إلى سكان المدن أو الفلاحين . ويتراوح سعر الحصان في سوريا بين ١٠ جنيهات و ١٢٠ جنيه . ولأن البريطانيين في بغداد والبصرة يشترون الخيل العربية ويرسلونها إلى الهند ارتفعت أثمانها كثيراً . وقد اشترى قنصل هولندا الراحل في حلب ، السيد ماسيك ، عام ١٨٠٨ م أكثر من عشرين جواداً أصيلاً لنابليون ، ثمن كل جواد منها يتراوح بين ٨٠ و ٩٠ جنيهاً . ويندر أن تباع فرس عربية بأقل من ٦٠ جنيها . بل إنه من الصعب على سكان المدن أن يحصلوا على تلك الفرس بذلك الثمن . وغالباً ما وصل ما يدفعه البدو أنفسهم ثمناً لفرس مشهورة إلى ٢٠٠ جنيه . وربما ارتفع هذا الثمن إلى أكثر من ٥٠٠ جنيه . وتوجد لدى زعيم قبيلة الموالي الآن فرس دفع لنصف بطنها ــ حسب التعبير القبلي ــ ٤٠٠ جنيه . وإذا كان لدى عنزي فرس من نسل أصيل فإنه نادراً ما يرضى ببيعها دون أن يبقى لنفسه نصفها أو ثلثها . فإذا باع نصفها أخذها المشتري ، لكن هذا الأخير ملزم بأن يترك للبائع أول فلوة تلدها مستقبلا ، أو يعيد الفرس إليه ويحتفظ هو بالفلوة . أما إذا باع ثلث فرسه فإن المشتري يأخذها ، لكن يجب عليه أن يعطي البائع الفلوتين اللتين تلدهما بعد البيع ، أو يعطيه إحداهما مع أمهما . وأما ما تلده الفرس المباعة بعد ذلك من إناث ، أو ماتلده من ذكور ــ سواء في السنة الأولى بعد بيعها أو في غير السنة الأولى ــ فهو للمشتري . ويسمي العرب هذا العقد : بيع نصف بطن الفرس أو ثلثه . وهكذا فإن أكثر الأفراس العربية ملكية مشتركة لاثنين أو ثلاثة من العرب . وربما كانت ملكيتها لأكثر من هذا العدد إذا كان ثمن الفرس

مرتفعاً جدا . ويبيع أهل الشمال ، عادة ، نصف أفراسهم ، ويأخذون نصف ما تلده من ذكور وإناث . وتباع الفرس ، أيضا ، بشرط أن يكون جميع ما يغنمه راكبها قسمة بينه وبين بائعها .

وتسمّى المهرة منذ ولادتها حتى بلوغها السنة طريحا . وتسمّى خلال سنتها الثانية حولية ، وخلال سنتها الثالثة جذعة ، وخلال الرابعة ربعيّة ، ثم تسمّى فرسا ، أو يُستَمر في عدّ السنوات . ويسمّى المولود الذكر مهراً أو فلوا .

وبعد ولادة الفرس مباشرة يربط البدو إحدى أذني مولودها بالأخرى بخيط فوق رأسه لكي يكون اتجاههما جيدا . ويقومون في الوقت نفسه بضغط ذيله إلى أعلى ، كما يقومون بإجراءات أخرى يمكن بها أن يكون الذيل مرتفعا . والعناية الوحيدة التي يولونها الفرس بعد أن تلد هي لف قطعة من قماش على جسدها . وتزال هذه القطعة عنها في اليوم التالي . وإذا كان من هي لديه لا يملك إلا جزءاً منها فعليه أن يجمع شهوداً في اليوم التاسع من ولادتها ، ويعلن أمامهم عزمه على إعطائه المولود لبائع الفرس أو إبقائه وإعادتها هي إليه . ومتى قام بهذا الإعلان وجب عليه الالتزام بمقتضاه . ويبقى العرب المولود مع أمّه شهراً ، ثم يفطمونه عن الرضاعة منها . وعندئذ يسلّمونه إلى بائع الفرس أو يربّونه هم بإرضاعه من حليب النوق . ولا يطعمونه خلال مائة يوم من فطامه عن حليب أمه أي طعام غير حليب النوق ، بل لا يسقونه ماء . وبعد ذلك يبدأون بإطعامه يومياً قسطاً من القمح المنقع بالماء . مبتدئين بحفنة واحدة ، ثم يزيدون الكمية بالتدريج . لكن يظل الحليب غذاءه الأساسي . وهكذا يكون طعامه مائة يوم أخرى حتى يبدأ في أواخرها برعي الأعشاب قرب المخيم ، ويبدأ بشرب الماء ثم يبدأون بإطعامه شعيرا . وإذا كان حليب النوق كثيراً لديهم أعطوه كمية منه كل صباح مع ما يطعمونه من الشعير .

وقد اعتاد الرجل من قبيلة عنزة حينا يجلب مهراً له من العمر سنتان أو ثلاث سنوات إلى السوق في إحدى المدن السورية أن يقسم بأن ذلك المهر لم يذق أبداً طعاماً غير حليب النوق . وهذا أكذوبه واضحة . ذلك أن المهار العربية في صحراء سوريا لا تُغذّى على الحليب وحده بعد الشهور الأربعة الأولى من عمرها . وعلى العكس من ذلك لا يعطي العرب النجديون خيلهم شعيراً أو قمحاً ؛ إذ تتغذى بأعشاب الصحراء ،وتشرب كثيرا من حليب النوق إضافة إلى كمية من التمر المحلول بالماء . ويعطي النجدي ــ والعنزي أحيانا ــ الحصان المفضل لديه بقايا وجبات طعامه الخاص .

ومن المعروف أن حرص العرب في اختيار الفحل لتلقيح أفراسهم لا يصل إلى مستوى الأوربيين[٩] . ذلك أن العرب يعزون الصفات الجيدة في المهر إلى أمه أكثر مما يعزونها إلى أبيه . على أني سمعت بعرب يسافرون بأفراسهم عدة أيام لكي يلقحوها من حصان مشهور . ويدفعون ، عادة ، دولاراً أو شاة ثمناً لذلك التلقيح .

ويبقى العرب خيلهم في مكان مكشوف طيلة العام . ولم أر أياً منها مربوطاً داخل خيمة مالكه حتى في الفصل المطير ، الذي قد يلاحظ قيام كثير من التركمان خلاله بربط خيلهم داخل خيامهم . والحصان العربي ، مثل سيّده ، معتاد على قساوة كل الفصول . ورغم العناية القليلة بصحته فإنه نادرا ما مرض . ولا ينظّف العرب خيلهم أو يدلكونها ، لكنهم يحرصون على تمشيتها بهدوء كلما عادوا من رحلة عليها. ومنذ أن يُبدأ بركوب المهر — وذلك بعد السنة الثانية من عمره — لا ينزع السرج من ظهره إلا نادرا . ويجلّل في الشتاء بقماش فوق السرج . أما في الصيف فيبقى معرضاً لحرارة الشمس منتصف النهار . ويضع العرب الذين ليست لديهم سروج جلد ضأن محشو ، اسمه مصقع ، على ظهور خيولهم . ويركبونها بدون ركاب — وهو ما يضع فيه الفارس رجليه — وبدون لجم ، إذ يتحكمون بها عن طريق الأرسان فقط . ويجب ألّا يدهش القارىء الأوربي عندما يعلم أن مزاج الحصان البدوي هادىء جدا ، وأنه غير شرس بل هو صديق راكبه لا عبده . ولا يمارس العرب لعبة الجريد التي غالباً ما دمّرت خيل الأتراك قبل أن تكتمل قوتها . بل إنهم في الواقع لا يعرفون الأسلوب التركي للفروسية ، ولا المناورات التي يتباهى بها العثمانيون الأتراك كثيرا . ومع أن العثماني التركي رشيق في ركوبه الخيل فإن البدوي العربي ، بركوبه الجياد دون ركاب أو لجم ، ورميه الرماح الثقيلة والخيل في أقصى عدوها ، وتوازنه منذ الطفولة على ظهور الإبل المسرعة دون أشدّة ، يحتل مكاناً فوق ظهر جواده يسمو على ما يستطيع أن يفتخر به ذلك العثماني التركي .

ولا يعرف البدو من العرب تلك الحِيَل التي يخدع بها بائع الخيل الأوربي من يشتري منه . ولذلك يمكن أن يشتري المرء حصاناً بناء على قول بائعه دون خوف من الغش . وقليل جدا أولئك الذين يعرفون كيف يحددون عمر الحصان بأسنانه . وقد نظرت مرة إلى فم فرس بحضرة صاحبها وعدد من رفاقه ، فظنّوا في بادىء الأمر أني أمارس نوعاً من السحر الخفي . ولما علم المالك أنه بالنظر إلى أسنانها يمكن تحديد عمرها اندهش ، ثم سألني أن أخبره عن

(٩) يقال محلياً عن الحصان المعدّ لهذا الغرض عُلّوَة ، وإذا علا الفرس قيل شباها .

عمره هو بفحص أسنانه[10]

ويعتقد العرب أن بعض الخيل شؤمها مقدر سلفاً ، وأن أصحابها لابد أن تحدث لهم ، عاجلا أو آجلا ، مصائب معينه تشير إليها علامات في جسوم تلك الخيل . فهم يعتقدون ـــ مثلا ـــ أنه إذا كانت هناك نجمة على الجانب الأيمن من رقبة الفرس فإنها ستقتل برمح . وإذا كانت النجمة في ساقها فإن زوجة صاحبها ستكون خائنة له . وسيكون ذلك الزوج شاكا فيها . وهناك ما يزيد على عشرين علامة شؤم من هذا النوع لها أثر سيىء في تخفيض قيمة الحصان أو الفرس بنسبة الثلثين أو أكثر .

ولا يسم العرب خيلهم بأية علامة كما يظن بعض الأوربيين . لكن كيّهم لها أحياناً ، معالجة من الأمراض ، يترك أثراً على جلودها فيبدو كأنه علامة وضعت قصدا .

ويقول العرب عن الحصان الأبيض : أبيض أو أشهب أو أخضر ، وعن الرمادي : أزرق ، وعن الرمادي الداكن : أصفر ، وعن الأسود : أدهم ، وعن الكستنائي أو الكميت : أحمر ، فإن كان بدون علامة بيضاء قالوا عنه : أحمر صحة ، ويقولون عن الأسمر الذي فيه حمرة : أشقر ، وعن البنّي المشرب بحمرة : أحمر محروق ، وعن المرقط بألوان مختلفة : حبش . وعن الكميت ذي الأقدام البيضاء : أحمر محجل ، فإن كانت ثلاث منها بيضاء ويده اليسرى مثل لون بقية جسده قالوا عنه : محجل الثلاث ومطلوق اليمين[11] .

أسماء بعض أمراض الخيل لدى البادية :

ـــ مغص .
ـــ سراجه . ويعده البدو من الأمراض التي لا يمكن شفاؤها تقريبا .
ـــ حروق . وهو ورم يكوون اللحم المحيط به .
ـــ عقر السرّة . وليس لديهم علاج لهذا المرض .
ـــ عقر الصفحة . ( الانتفاخ النبري ) . ويعالجونه بفتح الأورام ، ثم يضعون عليها ضمادة مصنوعة من حبل غير مفتول ، ويغيرونها من وقت لآخر . ثم يغسلون الجرح بالماء والصابون ، ويدلكونه جيدا بالملح حتى يتوقف الدم الخارج منه . وبعد ذلك يغسلونه مرة

(١٠) المعروف أن العرب ماهرون بمعرفة عمر الدابة بفحص أسنانها . لكن لعلّ صاحب تلك الفرس تظاهر بعدم المعرفة لغرض ما ، وسأله مازحاً فأخذ الرحالة موقفه مأخذ الجد .

(١١) يقول العرب في نجد ، عادة ، عن الحصان ذي اللون الأبيض : أشهب أو أشعل ، ولا يقولون : أخضر . ويقولون عن الرمادي الفاتح : أصفر ، وعن الأحمر المائل إلى الصفرة : أشقر ، ويسمون مطلوق اليمين ما كانت يده اليمنى غير محجلة .

أخرى ، ويضعون عليه مسحوقاً من قشور الرمان و أوراق الحناء .

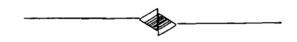
ـــ محمور : أي مصاب بما يشبه التخمة . وإذا كان سبب ذلك شرب الحصان كثيراً من الماء البارد بعد تمرين عنيف فإنهم يفقدون الأمل في شفائه . أما إذا كان سببه كثرة الأكل فإنهم يشقّون قدم الحصان ، ويلفون جلد ضأن ذُبح لتوّه حول جسده .وبالإضافة إلى ذلك يضعون بيضاً – إن وجد لديهم – على الجزء الذي يبدو أن الحصان يعاني منه أكثر من غيره ، ويدلكونه به .

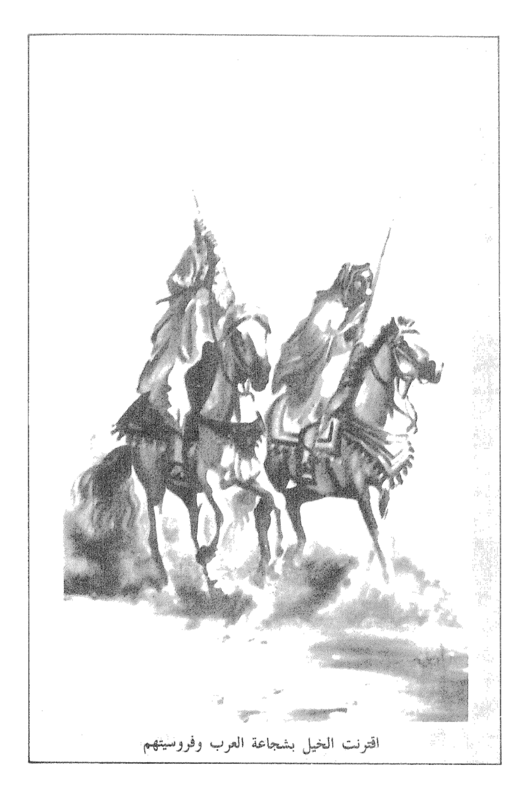
ـــ مقطوع القلب ، وهو المصاب بالربو .
ـــ مصفور ، وهو المصاب باليرقان .
ـــ سقاوة ، وهي الحمّى . ولعلاجهايحرقون قطعة كتان مصبوغة بالنيل ، ويدعون دخانها يدخل في خشم الحصان ، فيسبب ذلك خروج كثيرمما فيه من فضلات . ثم يدلكون الأورام بمسحوق من قشر حب الشعير والدهن .

ـــ الجرب .
ـــ الخنزير .
ـــ النعرة .
ـــ الحتوت : وهو جرب تحت ذيل الحصان .
ـــ الباش : وهو أورام مائية فوق معدة الحصان .

والكي أكثر علاج عام لأمراض الخيل التي يعاملها العرب في كثير من الأحوال كما يعاملون بني آدم . ولا يركب العرب خيلهم قبل تحذيتها . ويقولون عن أحذية أقدامها الأربع كاملة : طباقة حذو ، وعن اثنتين منها : صدر ، وعن الواحدة فقط وطية . أما عنان الفرس فيقولون عنه : صروع . وإذا كانت فيه حديدة تدخل في فمها قالوا عنه : عنان . أما السير الجلدي أو الحبل ، الذي يربط به العنان فوق رأسها فيقولون عنه : عذار . ويقولون عن قماش السرج : طراحة . لكن كل هذه التسميات موجودة لدى البدو وحدهم . أما السوريون فيسمّون هذه الأشياء تسميات أخرى .

وحين تصبح الفرس كبيرة السن وغير صالحة للحرب يبيعها صاحبها إلى شيخ قرية أو رجل من أهل المدينة ، ويشترط لنفسه نصف نسلها أو ثلثيه مستقبلا .





اقترنت الخيل بشجاعة العرب وفروسيتهم

## الخيل في جزيرة العرب[١٢]

الاعتقاد السائد أن جزيرة العرب غنية جداً بالخيل . لكن إنتاجها محدود بامتداد أراضي المراعي الخصبة في تلك البلاد ؛ إذ تتكاثر في تلك الأراضي وحدها . أما البدو الذين يعيشون في مناطق فقيرة التربة فنادراً ما امتلكوا خيلا . ونتيجة لذلك يلاحظ أن أغنى القبائل بالخيل تلك التي تقطن السهول الخصبة نسبيا والممتدة على ضفتي الفرات والسهول السورية . ذلك أن الخيل يمكن أن تتغذى طيلة شهور الربيع على الأعشاب والحشائش الخضراء التي تنبتها في الأودية والأراضي الخصبة . ويبدو هذا الطعام ضرورياً جداً لتعزيز اكتمال نمّو الخيل وحيويتها . ولهذا يلاحظ أن عدد الخيل في نجد لا يصل إلى عددها في الجهات المذكورة سابقا ، وأن ذلك العدد يقل كلما اتجه المرء جنوبا .

ولا توجد في الحجاز، خاصة في المناطق الجبلية وما يلي اليمن ، إلّا خيل قليلة . على أن هذه الخيل القليلة مستوردة من الشمال . ولدى قبائل عنزة في حدود سوريا ما بين ثمانية وعشرة آلاف رأس من الخيل . أما بعض القبائل الأصغر حجماً والمتنقلة فيما يجاورها من مناطق فمن المحتمل أن لديها نصف ذلك العدد . ومن المرجح أن لدى قبيلة المنتفق وحدها في الصحراء التي يرويها الفرات وفيما بين بغداد والبصرة ثمانية آلاف رأس من الخيل على الأقل . ومن المرجح ، أيضاً ، أن قبيلتي الظفير وشمّر غنيتان نسبياً بالخيل الأصيلة . أما في منطقة نجد وجبل شمّر والقصيم ؛ أي من حدود الخليج ( العربي ) حتى المدينة ، فلا يوجد أكثر من عشرة آلاف رأس من الخيل .

ويندر وجود خيل لدى القبائل الكبيرة الموجودة على ساحل البحر الأحمر ما بين العقبة ومكة وما يليها جنوباً بشرق حتى اليمن ؛ خاصة تلك التي في المناطق الجبلية . على أن الخيل تكثر قليلا في السهل الشرقي الواقع بين بيشة ونجران . وتشتهر قبيلة قحطان التي تقطن تلك الجهات بخيلها الممتازة . ويمكن أن يقال ذلك، أيضا ، عن قبيلة الدواسر .

ولم يعتد السكان المستقرون في الحجاز واليمن كثيراً على اقتناء الخيل . وفي اعتقادي أنه من الممكن القول بإنصاف : إنه لا يوجد أكثر من ستة آلاف رأس من الخيل في البلاد الممتدة من العقبة شمالا حتى سواحل حضرموت جنوبا بما في ذلك الجبال والأراضي المنخفضة غربها باتجاه البحر . ومن المعتقد أن حرارة الجو الشديدة في عُمان غير مناسبة لإنتاج الخيل .

(١٢) مع أن العنوان خاص بخيل الجزيرة العربية فإن بوركهارت تكلم في ثنايا حديثه عن الخيل في أمكنة أخرى محاولاً المقارنة فيما يبدو . ويقع هذا الجزء من صفحة ٥٠ حتى صفحة ٦٨ في المجلد الثاني من كتابه **Notes on the Bedouins and** Wahabys المشار إليه سابقاً .

ولذلك فإنها أكثر ندرة في تلك البلاد منها في اليمن . وعلى هذا فإني حينما أكّدتُ بأن عدد الخيل في بلاد العرب ، التي يحدها نهر الفرات وسوريا ، لا يزيد عى خمسين ألفاً كنتُ واثقا من أن تقديري لم يكن أقل من العدد الحقيقي بأية حال . وهذا العدد أقل كثيراً مما يمكن أن يكون موجوداً على أرض مماثلة لبلاد العرب مساحة في أي جزء من آسيا وأوربا .

ولست أعلم أي قطر في ذلك الجزء من بلاد الشرق تكثر فيه الخيل كما في بلاد ما بين النهرين . فالقبائل الكردية والبدو في تلك المنطقة يحتمل أنهم يملكون أعداداً أكثر من كل بادية العرب . ذلك أن غنى مراعي المنطقة المذكورة تسهم كثيراً في تنمية نسلها .

ولا تنتج أحسن مراعي بلاد العرب أكبر عدد من الخيل فقط ، بل تنتج ، أيضاً ، أجود وأحسن نوع منها . فبنت الكحيل من الخمسة فروع الأصيلة توجد في نجد وقرب نهر الفرات وفي الصحراء السورية بينما لا توجد في مناطق بلاد العرب الجنوبية ؛ خاصة اليمن ، أنواع جيدة إلّا تلك المستوردة من الشمال . وليس لدى بدو الحجاز إلا عدد قليل من الخيل ؛ إذ أن قواتهم العسكرية الأساسية تتكون من راكبي الإبل والمشاة المسلحين بالبنادق فقط . بل إني أعتقد أنه لا يوجد مائتا رأس من الخيل في كل أجزاء البلاد الممتدة من مكة إلى المدينة وما بين الجبال والبحر ، وهي مسافة لا يقل طولها عن ٢٦٠ ميلًا . ومن المعتقد أنه لا يوجد ما يزيد على ذلك العدد في كل أجزاء ساحل البحر الأحمر الممتد من ينبع إلى العقبة .

وكانت القوات المتحدة لكل زعماء الوهابيين الجنوبيين الذين هاجموا محمد علي باشا سنة ١٨١٥ م ( ١٢٣٠ هـ ) في بِسْل ، والمكونة من ٢٥,٠٠٠ مقاتل لا تشتمل إلا على ٥٠٠ خيّال معظمهم نجديون مع فيصل بن سعود الذي كان مع أولئك الزعماء .

ومن المعتقد أن كلا من مناخ اليمن ومراعيها كانت من الأمور الضارة بصحة الخيل . فكثير منها ماتت من أوبئة تلك البلاد التي لم تتنام فيها أبدا . بل إن سلالتها بدأت تضعف في أول جيل لها . وكان إمام صنعاء وغيره من أمراء اليمن يتلقون مدداً سنوياً من خيل نجد . أما سكان ساحل البحر فكانت تأتي إليهم أعداد كبيرة من الخيل عن طريق سواكن مستوردة من الأقطار التي على حدود النيل . وقد باع الرولة الخيل التي غنموها من جنود باشا بغداد المنهزمين سنة ١٨١٠ م على تجار الخيل النجديين ، الذين باعوها بعد ذلك إلى أهل اليمن . ويمكن أن يقال ،هنا ، : إن اليمنيين لم يكونوا ، بأية حال ، ماهرين في اختيار نوعية الخيل أو حريصين على ذلك كما هي حال جيرانهم الشماليين . وقد بدأت أعداد الخيل في عهد سعود بن عبد العزيز تنقص سنوياً بين أتباعه . ذلك أن أصحابها أصبحوا يبيعونها على

العملاء الأجانب الذين يأخذونها إلى اليمن وسوريا والبصرة . ثم تصدّر من البلدة الأخيرة إلى الأسواق الهندية *

وكان ملّاك تلك الخيول العربية يبيعونها خوفاً من أن يأخذها منهم سعود أو ابنه ؛إذ أصبح من العادة التذرع بأية حجة من العصيان أو التصرف غير القانوني لمصادرة فرس البدوي غرامة تدخل إلى خزينة الدولة العامة . وبالإضافة إلى ذلك كان امتلاك الفرس يفرض على صاحبها أن يكون دائماً على استعداد للالتحاق بزعيمه في حروبه . ولهذا فضّل كثير من البدو الخيار الثاني ؛ وهو ألّا تكون لديهم خيل على الإطلاق(١٣) .

ولقد شوهد أخيراً كثير من مخيمات البدو في منطقة جبل شمر دون أن يكون عندها حصان واحد . ويقال إن قبيلة مطير الساكنة بين المدينة والقصيم قد انخفض عدد الخيل لديها في سنوات قليلة من ٢,٠٠٠ إلى ١,٢٠٠ . وكان عند شريف مكة الراحل (الشريف غالب) مجموعة ممتازة من الخيل ؛ إذ كانت أحسن فحولها تُجلب من نجد لتُباع في البلدة المقدسة . وقد أصبح معتاداً بين نساء البدو اللاتي يأتين إلى مكة لأداء الحج أن يُحضرن معهن فحول خيل أزواجهن هدية إلى الشريف ، فيتلقين منه مقابل ذلك ملابس حريرية ومجوهرات ونحوها .

ومن كل ما ورد إليّ من معلومات استقيتها من أوثق المصادر لا أتردد في القول بأن أحسن سلالات الخيل العربية وأنقاها توجد في سوريا ، وإن أحسن ما يوجد في البقاع السورية هي تلك التي في حوران حيث يمكن أن تُشْتَرى بأرخص أسعارها من بيوت البدو أنفسهم عند ما يقطنون السهول في فصل الربيع . فالخيل التي تُشْتَرَى في البصرة لتصدّر إلى الأسواق الهندية كانت مُشْتَراة من عملاء البدو . وبالإضافة إلى ذلك فإن البدوي يندر أن يقوم بجلب حصان جيد إلى سوق بعيدة دون التأكد من بيعه . وسلالة الخيل من الخمس الأصيله نادراً ما وجدت طريقها إلى البصرة .

وأكثر الخيل المباعة هناك تصدّر إلى الأسواق الهندية من خيل عرب المنتفق ، الذين لايدققون جداً في تنمية سلالات نقية . ولعل مما يشار به على القوى الأوربية الكبرى أن يكون لديها موظفون مؤهلون تأهيلا ممتازاً لشراء الخيل لهم من سوريا ؛ إذ أن ذلك أنسب طريق لتهجين ما لديها من جياد والرقي بها . ولا شك أن دمشق أحسن مكان لإقامة أولئك الموظفين . وإني لمقتنع بأنه لم يستورد إلى انجلترا إلا عدد قليل جداً من خيل الدرجة الأولى

(١٣) من الواضح أن في كلام بوركهارت ، هنا ، مبالغة . وربما كان مردّ ذلك إلى من نقل إليه الأخبار . والشواهد التاريخية تفيد أن البدو في مجملهم ظلّوا يحتفظون بخيلهم بصفة عامة .

منها . على أن كثيراً من خيل سوريا ومصر وشمال أفريقيا قد دخلت إلى هناك تحت اسم الخيل العربية .

ويرى البدو أن الفرس المصرية الملقحة بحصان عربي تنتج سلالة أجود مما تنتج السورية المحلية التي لا يعدّ نسلها ذا قيمة رفيعة وإن كانت ملحقة بحصان من سلالة الكحيل . ومن الخطأ افتراض أن خيل الخمس ، أو السلالة النبيلة ، كلها من أكمل الخيل وأميزها صفات وجمالا . فقد يوجد بين نسل الحصان المشهور الكسوف مجرد خيل تستعمل للتأجير . وقد رأيت كثيراً من الكحيلات التي ليس لها من الصفات إلا اسمها . على أن قوة تحمّل التعب العظيم تبدو عامة في كل سلالات الخيل الصحراوية . وعلى أية حال فإن الخيل الجميلة من الخمس أكثر جدا من عامة الخيل المنتمية إلى تلك السلالة ذاتها . لكن لا يوجد بين تلك الخيل الجميلة إلا عدد قليل مما يمكن أن يقال بأنه من الدرجة الأولى من حيث حجمها وجسدها وجمالها وفعلها . بل قد لايزيد عدد هذه على خمس أو ست من الخيل عند القبيلة كلها . ولعل التقدير العادل والمحتمل هو أن الصحراء السورية فيها أكثر من مائتين من ذات الصفات المتفوقة ، التي يقدر ثمن الواحدة منها في تلك الصحراء ذاتها ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ جنيه استرليني . وإني لأعتقد أنه إن كان بينها من وَجَد طريقه إلى أوربا فهو عدد قليل جدا رغم أنه لا يمكن أن تنجح أية محاولة للرقي بسلالة الخيل الأوربية وتحسينها إلا عن طريق تلك الخيل الممتازة وحدها . أما الخيل المستوردة ، عادة ، فكلها من الدرجة الثانية أو الثالثة .

وقد اعتاد بدو الحجاز أن يشتروا المهار من قافلة الحجاج المصريين ، ثم يبيعوا ما تلده بعد ذلك من ذكور جيدة إلى أهل اليمن . ولم أر أبداً أي حصان مخصي في داخل الصحراء .

ولا يوجد في مصر ذاتها ـــ على ضفاف النيل ـــ أي إنتاج للخيل الممتازة . وأجمل ما ينتج فيها من الخيل تلك الموجودة في مناطق ينمو فيها أحسن أنواع البرسيم ؛ وذلك في الوجه القبلي حول طهطا وأخمين وفرشوط ، وفي الوجه البحري في جهة المنزلة . ولم يأت إلى مصر إلا عدد قليل جداً من سلالة الخيل العربية . وليس هذا بغريب ؛ إذ أن صفاتها الفائقة وقوة احتمالها للتعب لم تكونا مما يحتاج إليه كثيراً على ضفاف نهر النيل الخصبة .

والحصان المصري قبيح المظهر خشن الطباع أقرب إلى الحصان المستعمل لجر العربات منه إلى حصان السباق . ومن عيوبه الأساسية أن سيقانه ورُكَبُه غير رشيقة ، وأن رقبته غليظة قصيرة ، ورأسه جميل أحيانا ، لكني لم أر ابداً حصاناً مصرياً له سيقان جميلة .

والخيل المصرية غير قادرة على تحمّل أيّ تعب عظيم . لكن تلك التي تُغذّى جيداً تبدي من الأفعال العظيمة ما يفوق أفعال ' لخيل العربية . وقد جعلها اندفاعها مرغوبة لسلاح الفرسان . وبسبب ما لها من صفات وصل سلاح الفرسان المصري إلى ما وصل إليه من شهرة . ذلك أن الخيول المصرية تتفوّق كثيراً على الخيول العربية في بداية انطلاقها . لكنها أقل نفعاً من الكحيل حينما يصبح من الضروري العدو في مسافات طويلة ، أو يتطلب الأمر فرساناً ذوي خفة في تحركاتهم .

ويعتمد البدو الليبيون في حاجتهم من الخيل على إنتاجهم الذاتي ، وعلى ما يستوردونه من مصر على حد سواء . ويقال إنهم يحتفظون بالسلالات القديمة من الخيول العربية ؛ وذلك في داخل الصحراء وناحية بلاد البربر . لكن الأمر ليس كذلك فيما يجاور مصر ؛ إذ يندر وجود العناصر الممتازة . ويركب أولئك الليبيون الأفراس وحدها كما يفعل بدو الجزيرة العربية .

أما بالنسبة لشجرة نسب الخيول العربية فيجب أن أذكر هنا أن البدو داخل الصحراء لايشيرون أبداً إليها . ذلك أنهم يعرفون تماماً أصول خيلهم كما يعرفون أصولهم . لكن حينما يأخذون خيولهم إلى سوق أية مدينة ؛ مثل البصرة أو بغداد أو حلب أو دمشق أو المدينة أو مكة ، فإنهم يحملون معهم شجرة نسب مكتوبة يعرضونها على المشتري . وفي هذه المناسبة فقط يكون لدى البدوي شجرة نسب مكتوبة لفرسه أو حصانه . أما إذا كان البدوي داخل الصحراء فإنه سيضحك ممن يسأله شجرة نسب . وهذا قد يصحح تقريراً خاطئا ذكر في مكان ما عن موضوع شجرة النسب .

ويحتفظ عرب هتيم ومعزّي في صعيد مصر ، الساكنون في الصحراء الممتدة بين النيل والبحر الأحمر ، بسلالات من الخمس . وكما هي الحال في جزيرة العرب يشترك في ملكية الواحد من الخيل عدة أفراد ، فيوزعونه إلى أربعة وعشرين سهماً أو قيراطاً مثلما تقسم ملكية الأرض في مصر بالقيراط(١٤) . وقد يشتري عدة أفراد ثلاثة أو أربعة أو ثمانية قراريط من الفرس ، فيشتركون في الأرباح العائدة من بيع أولادها بالتساوي . ولا يعرف رجال الجيش المصري عن السلالة الجيدة من الخيل إلا بنسبة قليلة لدرجة أن جنود إبراهيم باشا حينما أخذوا من قبيلة هتيم عشرة منها سنة ١٨١٢ م باعوها كما تباع سائر الخيول المصرية في حين كان مالكوها

(١٤) القيراط من الفدان ١٧٥ متراً

الأولون يقدرون ثمنها بثلاثة أضعاف مابيعت به على الأقل .

وإن من الممكن شراء حصان صالح لسلاح الفرسان في مصر ، أي وقت ، بمائة دولار أسباني . وكان أعلى ثمن دفع لحصان مصري ثلاثمائة دولار . لكن البدوي لن يدفع خمسين دولاراً ثمناً لمثل هذا الحصان . وكان المماليك سابقا يقدرون نسل الكحيل من الصحراء ، وينفقون مبالغ كبيرة لتوسيع دائرة إنتاجها في مصر . لكن سادة هذه البلاد الجدد لا يكنّون من الحماس للخيول الأصيلة ما كان يكنّه أسلافهم الذين تبنوا الأفكار العربية في كثير من الأمور ، وجعلوا من علامات المكانة الاجتماعية الرفيعة بينهم أن تكون لدى الواحد منهم معرفة بالخيل ، ويجعل من إسطبلها أعظم شيء ينفق عليه .

ويمكن أن يضاف ، هنا ،إلى أسماء سلالة الخيل العربية المذكورة سابقا ما يلي :

– الثامرية : وهي من نسل الكحيل .

– النزاحي : وهو من نسل الهدباء .وتعدّ بعض القبائل الفحول منها بين أعداد الخيل الأصيلة .

– المعنكية والجلفة : ولا تعدّان من نسل الخمس لدى النجديين ، الذين يُقدّرون نسل الهدباء والدهماء كثيراً ولا يستعملون أبداً نسل المسنّة – من أصل الكحيل – فحولاً .

على أن البدو يستعملون كل الخيول التي هي من نسل الخمس فحولا . لكنهم لايستعملون فحلا أول حصان تلده فرس من أب لا يعدّ من الخمس مهما كان جماله رفيعاً وصفاته عالية . وكان لدى الزعيم الوهابي ، سعود ، فرس مفضّلة اسمها Keraye[١٥] يركبها دائما في غزواته حتى أصبحت مشهورة في جزيرة العرب كلها . وقد ولدت حصاناً رائعاً في جماله . لكن لأن أمه لم تكن من الخمس فإن سعوداً لم يسمح لقومه أن يستعملوا ذلك الحصان الجميل فحلًا . ولأنه لم يدر ماذا يفعل به ؛ إذ لا يركب البدوي أبدا حصانا ، أرسله هدية إلى الشريف[١٦]. وكان قد اشترى أمه من بدوي قحطاني بمبلغ ١٥٠٠ دولار .

وفي صيف عام ١٨١٥ م هاجم خيّالة الدروز فريقاً من البدو في حوران ، وطاردوهم إلى مخيّمهم حيث هاجمتهم قوة أكبر منهم ، فقتلتهم كلهم إلا واحداً هرب على ظهر فرسه .

(١٥) لعل أقرب اسم يمكن أن توضع فيه هذه الحروف اللاتينية هو « جريّة » أي شديدة الاقتحام .

(١٦) من المعروف أن سعود بن عبد العزيز لم يكن بدويا . ومن غير الصحيح أن البدوي لا يركب حصاناً أبدا . فهناك مشاهير من البادية والحاضرة كانوا يركبون ، أحيانا ، الحصن في حروبهم .

وقد لحق به عدد من أمهر خيّالة البدو ، لكن فرسه ، رغم تعبها مضت في عدوها عدّة ساعات ، ولم يستطع أيّ واحد منهم اللحاق به . وقبل أن ينتهي متعقّبوه من مطاردتهم له نادوه واعدين إياه الحماية وراجين منه أن يسمح لهم بتقبيل جبهة فرسه الممتازة . ولما رفض ذلك امتنعوا عن تعقّبه . واعترافاً بفضل تلك الفرس صاحوا بصاحبها قائلين : « رح اغسل حوافر فرسك واشرب ماه » . ويستعمل البدو هذا التعبير لإظهار حبهم العظيم لمثل تلك الفرس وتقديرهم لما تقوم به .

ولا يدع البدو ، بصفة عامة ، أفراسهم تلقح حتى تبلغ من العمر خمس سنين . لكن فقراءهم الذين يتطلعون إلى ثمن ما تنتجه من أفلاء لا ينتظرون ، أحيانا ، أكثر من أربع سنوات . ويدفع النجدي دولاراً أسبانيا حينما يستأجر فحلًا لتلقيح فرسه في بعض المناسبات . لكن صاحب الحصان قد لا يرضى بالدولار ؛ بل ينتظر أن تلد الفرس ، فإن ولدت فلوة طالب صاحبها ببكرة عمره سنة ، وإن ولدت فلواً طالب بقعود عمره عام .

ولا يدع البدو أبداً ما تلده الفرس يسقط على الأرض عند ولادته ، بل يتلقونه بأيديهم ، ويحيطونه بالشفقة والحفاوة عدة ساعات يقومون خلالها بغسله وتمغيط أطرافه والتربيت عليه كما لو كان طفلا . وبعد ذلك يضعونه على الأرض ، ويراقبون خطواته الضعيفة برعاية خاصة متكهنين منذ ذلك الوقت بمزايا رفيقهم الجديد وعيوبه في المستقبل . ويغذّي النجديون خيلهم بالتمر بانتظام ، ويخلط التمر في الدرعية والأحساء بالبرسيم اليابس فيطعم إياها . لكن الشعير هو العليق المعتاد في كل مناطق جزيرة العرب . على أن الأغنياء من النجديين كثيراً ما أعطوا خيلهم لحماً ، نيئاً أو مطبوخا ، مع كل مايبقى من وجبات طعامهم الخاص . وقد أكد لي رجل في حماة أنه غالباً ماأعطى خيله لحماً مشوياً قبل البدء في رحلة مضنية لكي يساعدها في تحمّل التعب . وقال لي ذلك الرجل : إنه خاف ذات مرة أن يعجب حاكم المدينة بحصانه المفضل ، فأخذ يطعمه لحم خنزير مشوي لمدة أسبوعين حتى ثار مزاجه بدرجة كبيرة ، وأصبح صعب المراس ، فلم يعد هدفاً لرغبة ذلك الحاكم .

ولقد رأيت في مصر خيلًا شرسة تهجم على الناس فتعضّهم . وقد اعتادوا في معالجتها عن ذلك أن يناولونها ساعة هجومها رِجْلَ ضأن من قدر يغلي الماء فيها . فإذا تكرر ألم الحصان من عضه اللحمة الحارة ترك عادته الشرسة . والخيل المصرية أقل رقّة من الخيل العربية ؛ فهي في الغالب شرسة في حين تندر شراسة العربية . ولذلك تربط دائما ، لكن الخيل العربية تتجول بحرية وهدوء حول بيوت الشعر مثل الإبل . وساسة الخيل المصريون مشهورون في كل بقاع الشرق بجودة عنايتهم بالخيل لدرجة أن الباشوات والوجهاء في أنحاء

تركيا اعتادوا أن يكون لديهم عدد منهم للعناية بخيولهم . فهم ينظفونها ثلاث مرات أو أربع مرات يومياً ، ويضحّون بكثير من وقتهم وجهدهم لها بحيث أصبح يوجد ساسة خيل في كل جزء من مصر بعدد مافيها من اسطبلات ، وأصبح هناك سائس لكل واحد من الخيل .

ولا يسمح الزعيم الوهّابي ، الذي يملك أحسن الجياد في الشرق دون جدال ، أن تركَب مهاره قبل أن يكون لها من العمر أربع سنوات . لكن البدو ، على أية حال ، يركبون أمهارهم أحياناً قبل أن تبلغ ثلاث سنوات . وقد حرّم الزعيم المذكور على قومه أن يبيعوا ثلث الفرس كما هو المعتاد لدى عنزة الشماليين ؛ إذ يقول : إن هذه العادة تقود أحياناً إلى خدع محرّمة . لكنه يسمح ببيع نصف الفرس .







الغلاف والاخراج الفني

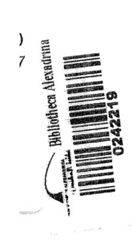
عبد الصبور شاهين

المتابعة الإشراف

محمد صديق عثمان




من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة




مطابع الحرس الوطني
NATIONAL GUARD PRINTING PRESS